نحوالمعاني ومعاني النحو

الدكتور عدنان طهماسبي*

أستاذ مساعد بجامعة طهران

سعدالله همايوني

طالب الدكتوراه فى اللغة العربية و آدابها بجامعة طهران

(۱۵۵ - ۱۹۲)

تاريخ الاستلام: ۹۰/۰۳/۱۷؛ تاريخ القبول: ۹۰/۱۲/۰۲

الملخص

من المعروف، أنَّ العربية لن تشهد ما يدنو من القرآن فصاحة و بلاغة، فألفاظ القرآن هى لب كلام العرب و زبدته و واسطته و كرائمه، و عليها اعتمد الفقهاء والحكماء في أحكامهم و حكمهم، و إليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم و نثرهم. فهو ذخيرة هذه اللغة، و هو سر علومها التي قامت لخدمة نصّه، بل هو سر حفظها حية نابضة أمام عوارض العصور. و قد حفظ لنا هذا الكتاب نصوصا من لهجات العرب التي لايرقى الشک إلى فصاحتها و سلامة الفاظها لغة و أداءً.

إن الذي ترمي إليه هذه الورقة في النحو و بعض مسائله و أبوابه، هو استجلاء معاني النحو، و تمييز طرائق التعبير بعضها عن بعض، والاهتداء بمعاني النحو في أساليب الكلام، و مراتبها من الدقة والإصابة، و تفاوتها في الإيجاز والإسهاب، وفي الوضوح والإبهام. فإخلاء النحو من معانيه، واستبعاد تلک المعاني من الدراسة النحوية هو الذي يصمه بالجفاف والجفاء و مرارة المذاق و مجانفة الأذواق. فالورقة هذه محاولة متواضعة حول أفانين النحو العربي المنبثقة من القرآن، إذ حاولنا من خلالها الكشف عن كثير من التعبيرات النحوية التي لا يختلف بعضها عن بعض إلّا لأجل إضفاء معنى جديد. و بما أنّ القرآن يفوق الشعر العربي ونثره مبنى و معنى، نرى التراكيب القرآنية و معانيها القيمة مادامت موجودةً حول قاعدة ما من قواعد النحو العربي، حيث هي موضوع استنباط القواعد النحوية لا العكس. مع أنَّ هدف القرآن ليس هو تحديد أساليب النحو العربي، ولكن السبب الرئيسي لنشأة النحو العربي هو القرآن الكريم. فالقرآن الكريم جملةً و تفصيلاً هو المفصل العمود والأساس لفقريات النحو العربي و قواعده، معتمدين في هذا على الكتب النحوية التي شيَّدت صرح النحو القرآني لاسيما "معاني النحو" لفاضل السامرائي، و"نحوالقرآن" لعبد الستار الجواري و كتاب "من وحي القران" لإبراهيم السامرائي.

الكلمات الدليلية : القرآن الكريم، النحوالعربي، المبنى، المعنى.

*E-mail: Adnan@ut.ac.ir

Archive of SID

www.SID.ir

المقدمة:

النحو العربي، كغيره من العلوم العربية، نشأ في كنف النص القرآني و كان في مقدّمة العلوم التي اعتني بها، حيث كانت الغاية منه صيانة القرآن و حفظه من وقوع اللحن والتحريف في قراءته. و موقف النحاة من القرآن من حيث الاستشهاد يتلخص في أنّهم من الناحية النظرية كانوا يؤمنون بما قرره السيوطي. و أمّا من الناحية العملية، فقد كان الأمر بخلاف ذلک؛ إذ إنّ معظمهم لم يعتمدوا على القرآن في دراستهم النحوية، و لم يولوه ما هو حقيق به من الاستشهاد والاحتجاج. والشواهد على ذلک كثيرة منها أنّ كتاب سيبويه، و هو قمة الدراسات السابقة عليه و دستور ما جاء بعده، ينطوي على الاستشهاد بالشعر العربي القديم من حيث الاستقراء و تقرير الأصول، والإحجام عن الإستشهاد بالقرآن إلا قليلاً. فضلاً عن ذلک فإنّ معظم الآيات القرآنية الواردة في كتبهم تذكر بعد الشعر، كأنّما تساق بهدف التقرير والتوكيد لا الاستشهاد. وهذا عندنا مرفوض. فالاضطراب أمام النصوص القرآنية والاضطرار إلى توجيهها توجيهاً خاصاً بها هوالسبب الاول في رفضنا لمثل هذه الطريقة في دراسة النحو. و أمّا السبب الثاني: هو رفضهم أحياناً بعض القراءت القرآنية معللين بأنها تخالف القواعد المعدة لديهم والمبنية على نصوص أخرى، ناهيک عن أنّ القراءة عندهم هى مجال تطبيق الأحكام لا الاستنباط.

فبعد اتخاذ لغة القرآن الكريم اللغة الأثيرة والمعتمدة في هذه الدارسة، سنقوم بعرض النحو على كلام الله، فما وافقه أبقيناه، و إلا أهملناه، مبتعدين عمّا يسمونه القليل والشاذ والكثير؛ فإن لم نجد شواهد من القرآن الكريم، رجعنا إلى الكلام العربي ذي الشهرة والانتشار في القبائل العربية. و إن رأينا ظواهر القراءة القرآنية الموحدة ما يصلح منها لاستنباط حكمين مختلفين أخذنا بهما و لانرجّح واحداً على الآخر. و بذلك نأمن من الوقوع في الخلط والإفساد اللذين وقع فيهما النحاة في أكثر مسائلهم.

Archive of SID

www.SID.ir

نحاول في هذة الورقة دراسة الدلالات القطعية والاحتمالية للجمل والعبارات بمؤازة الآيات القرآنية التي هي موضوع استنباط القواعد والتحليل والتفسير، واضعين بعين الاعتبار اختلاف التعابير والمباني التي تدل على اختلاف المعاني، إذ هو باب يسلط فيه الضوء على المبنى والمعنى، و من ثمّ تنقدح الحقائق وتنزاح الستائر للناظر فيه بعد تأمّله، والغور في كوامنه الملتوية، بدءاً من الظواهر المكشوفة و وصولاً إلى الخفايا المستترة.

الصراع السائد بين القبائل والنعرات القومية والمجابهات الدامية بين المعتزلة والأشاعرة والفروع المنتمية إليها والاقتتال إن صحَّ القول بين هؤلاء و أتبابهم دفع كثير من العلماء، و منهم سيبويه، أن يتوخوا الحذر في الإسناد والاستشهاد بالآيات القرآنية خوفاً من البطش والتنكيل والتشهير الذي طال العلماء به آنذاك. ومن يتحرى ما جاء به علماء النحو يرى أثر المذاهب التي اعتنقوها، و لايخفى عن بال القارئ الكريم أثر مدرسة جنديسابور وعلم الكلام والفلسفة في تلك الحقبة، إذ تقوَّمت بها كثير من الآراء والاستنباطات الشرعية والمتمثلة بقضية العامل والمعمول التي فنَّدها ابن مضاء القرطبي في كتابه الرّد على النحاة؛ فلهذا - ولأسباب أخرى لايتسنى لنا أن نتطرق إليها – جاء الاستشهاد بكلام العرب، علماً أنَّ القرآن كلام العرب المفضل لدى الجميع، و جاء بأحسن تعبير. و نحن لاننكر و من الأحرى أن نقول: ليس لنا الحقّ أن نسأل: لماذا استشهدوا بكلام العرب؟ ولكن لنا أن نتساءل: ألم نقبل بأن القرآن جملة و تفصيلاً هو كلام العرب الأمثل؟ هو تتويج بلاغتهم التي تمخضت من سوق عكاظ والأندية الأدبية؟

فإبان نزول القرآن نجد أنّ الأدباء فرضوا على أنفسهم اتّباع طريقة في البيان تمكنهم من تجاوز الحواشي والغرابة واللهجات، و تمهّد لهم سبيل البيان البليغ المقبول عند الجميع الذي تمثل بعد غربالة في لغة قريش، و نضج حتى بلغ أوجه، كما شهد له بذلك القرآن الكريم وعبّر عنه بـ(لسان عربي مبين). فلماذا لانستنبط آراءنا النحوية من خلال هذا اللسان المذهَّب؟! وما هو الميزان الذي بإمكاننا أن نشيد من خلاله صرح علم النحو

www.SID.ir

والبيان؟ أترى كلام الشعراء، أم الكلام المنثور؟ بحسبنا الكلام المنثور والمتداول آنذاك، وخيره هو القرآن؛ فندعو أنفسنا وأعزّاءنا إلى اتباع منهجية معتمدة على القرآن؛ ولِمَ لا؟! ونحن العجم بذلنا مهجنا لنفهمه ونستوعبه، وهذا لايفسد علينا أن نفهم كل ما ورد عن العرب.

إذن علينا أن نسأل أنفسنا: لماذا نقدس ما جاء به الآخرون؟! ولِمَ نختم على قلوبنا وسمعنا وأفئدتنا وأعيننا غشاوةً سميكة غافلين عن تقصّي الحقائق؟!

والمفصل الأساس أن التعبير القرآني يعتمد دون ريب على كلام العرب في أحسن صوره، فبه قام صرح اللغة العربية شامخا، حيث اعتنى الكثير من الباحثين على مرّ العصور بدراستها وبيان خصائصها، وجعلها نبي الإسلام لغة التخاطب بين أهل الجنّة.

علماً بأنّه ليس أمامنا أدلة دامغة على ما وصلنا من العربية لم يتخللها هنات و نحل في الشعر للعوامل الاجتماعية والسياسية التي دفعت بنا للشک في ما جاءنا من العربية بعيداً عن اللحن ولولاه لماذا لم يعتمد على ما وصلنا من كلام العرب والرويات المرفوعة عن النبي إلّا بتحفظ.(للمزيد، الحمزاوي، ١٩٨٨م: ص ١٩٢ فصاعدا)

تعريف النحو و موضوعه: قدم النحاة وأئمة اللغة من أمد بعيد حتى الآن تعاريف حول هذا العلم. وفقاً لهذه التعاريف يمكننا الوصول إلى آرائهم وتطلعاتهم، مذعنين أكثرهم فيها إلى التغيير والتطور اللغوي راصدين أواخر الكلمات. و قد ورد على لسان الخضراوي: «النحو علمٌ بأقيسة تغيّر ذوات الكلم و أواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب» و هذا التعريف يتداخل و علم الصرف الذي يعالج تغيّرالكلمات.(الخضراوي، ١٩٢٩م: ١٧). و قد ورد على لسان السيوطي «النحو مناعة علميّة ينظر لها أصحابها من ألفاظ العرب من جهة ما يتألّف بحسب استعمالهم لتُعرفَ النسبة بين الصبغة وصورة المعنى فيُتوصَّلُ بإحداهما إلى الآخر» (السيوطي، د.ت: صص٣١و٣٠). وهذا التعريف، رأي صحيحٌ لأنَّ المتكلم يشير إلى علاقة السياق والمعنى معاً.

Archive of SID

www.SID.ir

يتمُّ استخراج القواعد في أية لغةٍ بعد شيوعها. واللغة العربية ليست بنغمة نشاز، مع ذلک استخراج قواعد اللغة العربية يعود إلى بداية القرن الأول للهجرة، لكن الامر المؤكَّد أنَّ الفاصل الزمني لتكوين اللغة والتطور الذي اعتراها حيث انبثقت منها استخراج القواعد، يستغرق مراحل عدة و نسبة تدخل التغيير ليست بقليلٍ.(طهماسبي، ١٣٧٣هـ.ش: ١٨٥)

وأما موضوع النحو: وضع بعض النحويين موضوع النحو في دائرة محدودة حيث عالجوا في دراستهم الإعراب والبناء فقط؛ كقول القائل: «موضوعه الكلمُ العربية من حيث ما يعرضُ لها من الإعراب والبناء.» (الصّبان، ١٤١٢هـ.ق: ١٧) و مثله: «أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً.» (الزمخشري، المفصّل، المقدمة) و أما في تعريف آخر لاينحصر موضوع النحو بالإعراب فقط بل يشتمل على هيئة الكلمات، والتثنية والجمع والتصغير والتكسير والإضافة والنسبة. يقول ابن الجني: «انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلک ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة.» (ابن جنّي، د.ت: ج١، ٣٤) رأينا مما سبق أنّ مفهوم النحو في الماضي كان يتجاوز من مفهومه اليوم، و يشتمل على صحة القول، و بنية الكلمة و تركيب العبارة المنطوية على الصرف والنحو.

نظام اللغة في تأليف الجملة:

للكلمات في تأليف الجملة نظام مخصوص تحدده اللغة والقواعد المشتقة عنها. هذا النظام يقيم علاقات مخصوصة بين الكلمات، و يجعلها على هيئة معينة، و يعطي كلاً منها علاقة خاصة بها.

فإذا قلت: (تتفتّح الأزهار في الربيع)، فإنّ هذه الكلمات بهذه الهيئة تؤلف جملة ذات معنى مفيد؛ لكن اذا قلت (في تفتح الربيع الأزهار)، فإن هذه الكلمات نفسها بهذه الهيئة لا تؤلف جملة؛ لأنّ مجموع الكلم لم يرد فيها وفقاً للنظام اللغوي في تأليف الجمل العربية.

Archive of SID

www.SID.ir

والمعروف بأنَّ دراسة كل لغة تتمُّ من خلال دراسة نظامها في تأليف جملها، ومن خلال نظامها في بنية كلماتها كذلك.

فليس ترتيب الألفاظ وحده هو النظم، و إنما النظم كما يقول عبدالقاهر الجرجاني: توخى معاني النحو، و ذلک بإرادة معنى كل لفظ في موضعه. و هو يضرب مثلا بقول أبي تمام في وصف القلم:

لُعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرْي الجَنَى اشتارته أيدٍ عواسلُ

يقول الجرجاني «إن تقدير (لعاب الافاعي) مبتدأ (و لعابه) خبراً يفسد الكلام، لان المراد: لعابه أي مداد القلم لعاب الافاعي، فلعابه هو المبتدأ» (الجواري، نحو المعاني، ۲۰۰۶م: ۲۶).

وههنا أمر لطيف دقيق ينبغي أن يلتفت إليه، فليس كل اسم مرفوع يقع في أول كلام هو المبتدأ، لأنَّ مدار الأمر في وقوع الاسم مبتدأ هو قصد الإسناد ونيته، فإن جيء بالاسم المرفوع في أول الكلام بنية الإسناد إليه كان هو المبتدا، فيكون الاسم المرفوع بعده (المسند) هو الخبر.

الإسناد أو الجملة

الجملة هى الصورة اللفظية للفكرة. و وظيفتها هى نقل ما في ذهن المتكلم من أفكار إلى ذهن السامع. فالجملة إذن وسيلة لتناقل الأفكار، و أدات للتفاهم بين بني الإنسان.

كان النحاة يبنون تقسيمهم الجملة على أساس لفظيّ محض، فإذا كان صدر الجملة اسماً فهى اسمية، واذا كان صدرها فعلا فهى فعلية. (المصدر نفسه: ۱۰۷) و قد أوقعهم هذا التقسيم في مشكلات نحوية لن يستطيعوا التخلص منها: فقد واجههم مثل قوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارک فأجره)، ومثل قول طرفة:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عُنيت فلم أكسل ولن أتبلَّد

(شكيب، ۱۳۷۸هـ.ش: ۵۸)

Archive of SID

www.SID.ir

فجملة (أحد من المشركين استجارک) جملة اسمية في نظرهم، لأنها مصدرة باسم، وجملة (القوم قالوا) جملة اسمية كذلک، لأنها مصدرة باسم ايضا.

ثم لاحظوا أن هذه الجمل وقعت شروطاً لـ «إن» و«إذا»، وجملة الشرط فعلية، لأن الشرط سياق فعليّ، والآية و أمثالها، مما لا يتطرق الشک إلى كثرته في الاستعمال، و صحته و فصاحته، و في النصوص الصحيحة من أمثال ذلک ما لا يقع تحت حصر، فكيف يتخلصون من هذه المشكلة؟

لم يجد النحاة حلّاً لغوياً سليماً لهذه المشكلات التي صنعوها صنعا، و راحوا يتكلفون التأويلات والتقديرات، لتوجيه أمثال هذه الآية والبيت المذكور، لأن الفاعل لا يتقدم على الفعل، بل لفعل واجب الحذف مفسَّرٍ بالفعل المذكور.

و في مثل هذه الأمثلة يعتقد مهدي مخزومي: بأنّ تقسيم الجملة ينبغي أن يبني على أساس آخر ينسجم مع طبيعة اللغة، ويستند إلى ملاحظة الجمل، ومراقبة أجزائها في أثناء الاستعمال، و ينبغي أن يستند تقسيم الجملة إلى مسند لا إلى مسند إليه، كما فعلوا، لأن أهمية الخبر أو الحديث إنما تقوم على ما يؤديه المسند من وظيفة، وعلى ما للمسند من دلالة. (المخزومي، ١٩٨٦م: ٨٥)

فالجملة من حيث طبيعة المسند ثلاثة أنواع:

١- الجملة الفعلية: و هى الجملة التي يكون فيها المسند دالّاً على التغيّر والتجدّد، أو بعبارة أخرى؛ هى التي يكون فيها المسند فعلاً، لأن الفعل بدلاته على الزمان هو الذي يدلِ على تجدد الإسناد و تغيّره، و ذلک نحو: قام خالد، يقوم خالد، و خالد يقوم، و نحو: (إن أحد من المشركين استجارک) و قوله تعالى: (إذا السماء انشقت) و(و اذا السماء انفطرت) وإلى غير ذلک من الأمثلة الفصيحة التي لا حصر لها.

٢- الجملة الاسمية: و هى الجملة التي يكون فيها المسند دالّاً على الدوام، أو بعبارة أخرى؛ هى التي لا يكون فيها المسند فعلا، و ذلک نحو: محمد أخوک والحديد معدن...

www.SID.ir

فأخوك و معدن دالّان على الدوام، أي: دوام اتصاف المسند إليه بهما، لأنّ الأخوة ثابتة لمحمد، لاتتغيّر، و لاتصير من حال إلى حال. ولأن المعدنية وصف ثابت للحديد، لايتغيّر، فكل من هاتين الجملتين جمله اسمية.

٣- الجملة الظرفية: و هى الجملة التي يكون فيها المسند ظرفاً، أو مضافا إليه بالأداة، نحو: عند زيد نَمِرةٌ، و أمامک عقبات، و نحو قوله تعالى: (أفى الله شک؟) و قولک: في الدار رجلٌ. (المصدر نفسه: ٨٦)

هذه الجمل و أمثالها ليست فعلية، لأن الفعل لايظهر فيها، و ليست اسمية، لأن الأسمية ما كان المبتدأ، المسند إليه، فيها صدرا ما لم يطرأ على المسند ما يقتضي تقديمه، كأن يحظي باهتمام المتكلم وعنياته. وتقدّم المسند في هذه الجمل ليس طارئاً، ثم إنّ المسند فيها يشير إلى الكينونة العامة، أو الوجود العام، مما يجعلها إلى أن تكون فعلية أقرب منها إلى أن تكون اسمية. كل هذا يجعل هذه الجمل بينَ بينَ، لا اسمية، ولا فعلية.

دلالة الجمله العربية:

ينظرُ إلى دلالة الجملة العربية من جهتين.

١. الدلالة القطعية والاحتمالية.

٢. الدلالة الظاهرة والباطنة. (السامرائي، ١٩٩١م: ج١، ١٦)

الدلالة القطعية والاحتمالية:

نتناول في هذا البحث مباحث من النحو العربي اعتماداً على الآيات القرآنية و صوراً من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب، والمقصود من (اتساع دلالتها) أن العبارة الواحدة أو اللفظة الواحدة قد تتسع لأكثر من معنى، و قد يؤتى بها لأجل أن تجمع أكثر من معنى، و هذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فبدلاً أنْ يطيل المتكلم الكلام ليجمع معنيين أو أكثر من المعاني المطلوبة يأتي بعبارة واحدة تجمع المعاني كلها، فيوجز في التعبير و يوسع في المعنى.

Archive of SID

www.SID.ir

و إن قلت المفروض بالدراسات النحوية أن تساهم في تيسير النحو لا في تعقيده، فيجب الابتعاد عن هذه التأويلات النحوية، نقول: قد اختلف العلماء في مسائل كثيرة تتعلق بفهم الجمل العربية و ما يستنبطونها من التراكيب النحوية، وكان لهذا الاختلاف أثر كبير في صدور الأحكام الشرعية واختلاف الفقهاء فيها. و يعدّ الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام محمد أبي حنيفة من أوائل من ربط بين مسائل الفقه و مسائل النحو، فقد ضمن كتابه (الجامع الكبير) مباحث فقهية أدارها على أسس نحوية، ففتح بذلك بابا واسعاً من أبواب النظر في التفاعل بين الفقه والنحو. ثم جاء بعده الإسنوي فصنف كتابه «الكوكب الدري» و قصره على تعليق النتائج الفقهية بمقتضيات القواعد النحوية. (طويلة، ٢٠١٠م: المقدمة) فالمدقق في الجملة العربية و دلالتها يرى أنها على ضربين:

أ) تعبيرٌ نصيٌ أو قطعيٌ حيث يدلُّ على معنى واحد.

ب)تعبيرٌ احتمالي حيث يحتمل أكثر من معنىً.

نرى في القرآن الكريم كثيرما يعدل من تعبير قطعي ليس له أكثر من معني و أكثر من وجه إعرابي إلى تعبير آخر يحتمل اكثر من وجه إعرابي و أكثر من معنى؛ ذلك نحو قوله تعالى: (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) (ابراهيم/٣١) فقوله: (سرّاً وعلانيةً) يحتمل أن يكون على معنى: مسرّين ومعلنين، فيكونان منصوبين على الحالية، أو على معنى: وقتي سر و علانية، فيكونان منصوبين على الظرفيه، أو على معنى: إنفاق سر و إنفاق علانية، فيكونان منصوبين على المصدرية.(الزمخشري، الكشاف، ١٩٣٧: ج٢، ٣٧٨) و هذا خطٌ واضح في طبيعة دلالة الجملة العربية يبرزُ للمستقري بصورة جلية.و هذه المعاني كلها مرادة، فإنّ الله تعالى أمرنا أن ننفق إنفاق سر وإنفاق علانية، فجائت هذه المعاني كلها في هذا التعبير القصير، وليس هناك أي تعبير آخر يحتمل هذه المعاني كلها. لذا نرى كل صيغة وتعبيرٍ لها دلالة تختلف عن اختها قليلاً أو كثيراً و كما قيل «زيادة المباني تدل على زيادة المعاني» نرى أنَّ «اختلاف المباني تدلُّ على اختلاف

Archive of SID

www.SID.ir

المعاني» كقولك (الذي يدخل الدار له جائزةٌ) و(الذي يدخل الدار فله جائزةٌ) فالجملة الأولى ذات دلالة احتمالية يحتمل أنّك تعني بـ (الذي يدخل الدار) شخصاً معروفاً وأنَّ الجائزة ليست مترتبة على دخول الدار بل هو مستحقها قبل ذلک، كما يحتمل أن يكون الاسم الموصول هنا مشبهاً بالشرط، فالجائزة مترتبة على دخول الدار فكل من يدخلها يستحق الجائزة. وأما الجملة الثانية فذاتُ دلالة قطعية لأنّها لا تعني الا المعني الثاني أي فيها معنى الشرط والجزاء و هذه الفاءُ واقعةٌ في جواب الذي كما تقع في جواب شرط، أي أنّ الجائزة مترتبة على دخول الدار. (السامرائي، ١٩٩١م: ج١، ١٧). و ربّما يكون في الأول تحريض لمن يدخل الدار، إشارة إلى شجاعة الداخل فيها.

الدلالة الظاهرة والباطنة:

إنَّ بعض الألفاظ والتراكيب القرانية تحتمل أوجه عدة، بعضها ظاهر وبعضها باطن الأمر الذي أدّى إلى اختلاف المفسّرين في فهم القرآن؛ فما يراه منهم قريباً من الصواب يستبعده غيرهم، ويفهمه فهماً جديداً. فالقرآن الكريم كما قال عنه الإمام علي(ع): حمّال أوجه. والمراد من الدلالة الظاهرة، المعني الوضعي الذي يعطيه ظاهر اللفظ ولايحتاج إلى أية تفرسٍ وجهدٍ. **نحو:** جاء علي، ورأيتُ محمداً. وكقوله تعالى(وأحلَّ اللهُ البيع وحرَّم الربوا)(البقرة/٢٧٥) فألفاظ هذه الآية الكريمة تحتمل وجهاً واحداً ودلالة اللفظ جاء على المعني الظاهر.

و أمّا الدلالة الباطنة تؤدي عن طريق المجاز والكنايات والإشارات، وما إلى ذلك. كقوله تعالى:(فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً)،(المزمل/١٧) وقولهم: (يفعل المال مالا تفعله القوة)، وذلک لهول ذلک اليوم وقوة اثر المال في مجريات الحياة، مع أن المسبب الحقيقي هو الله سبحانه.(طويلة، ٢٠١٠م: ١٥٦)

وكقوله تعالى:(ليس كمثله شيءٌ) في الكناية: أي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه، والمراد من مثله كما في قولهم: مثلک لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه اذا

Archive of SID

www.SID.ir

نفي عمن يناسبه ويسد مسدَّه كان نفيه عنه أولى. ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني أنه يعطي معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه. وقيل «مثله» صفته أي ليس كصفته صفة. (البيضاوي، ١٤٠٣هـ.ق: ج٥، ٧٨)

فالكلامُ على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيدٌ.

وضربٌ آخر أنت لاتصل إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل. (السامرائي، ١٩٩١م: ج١، ١٩)

اختلاف المبنى، اختلاف المعنى

إنَّ اللغة لها نظامها الذي يحكمها، ونظام مفرداتها يقرر تجاور الخبر مع المبتدإ والفعل مع الفاعل والمفعول، ويصرُّ نظام اللغة على اطراد هذة الظواهر، ولكن عندما يأتي إلى الكلام الإبداعي في تطبيق هذاالنظام في تركيب دلالي أدبي، فإنَّه لا يُحافظُ على هذا الاطراد، وإنَّما يحكمه سياقات الكلام الإبداعي. (حسين، د.ت: ٦٧) كما قلنا، فإنْ خرجت الجملة العربية عن نظامها المألوف فعلينا أن نتوقف للنظر في سبب ذلك، لأنَّ اختلاف المباني والتعابير يدلُّ على اختلاف المعاني. «وعملية تأليف الجمل تنتظمها رتب تختلف في اللغة الواحدة, إلاّ أن تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة ليست اعتباطية أو غير محددة, بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى, والصغرى, ومن أهداف النظرية اللسانية أن تبحث في مجموعة المبادئ التي تُقيد الرتب داخل اللغات, لأن كفايتها ليست مرهونة فقط بتخصيص و وصف ما يلاحظ من الظواهر الرتبية, بل أيضاً بحصر ما لا يمكن أن يلاحظ منها.» (الفاسي الفهري، ١٩٧٥م: ١٠٣). «فالكلمات لا تتوالي في الجملة على نحو عشوائي بل يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مضطردة،»(الرمالي، ١٩٩٨م: ٢٢٠) بحيث يتحكم المعني في الجزء الأكبر منها ويتحكم اللفظ في القليل الباقي ،وتترتب الكلمات في الجملة

Archive of SID

www.SID.ir

العربيـة وفق ضوابط معينة تتحكم في ترتيبها وحركة عناصرها. و هذه الضوابط تتحكم أو تؤثر في الكلام المتراتب نحوياً ومعنوياً وأول هذه الضوابط هو ضابط المعني وثانيهما هو ضابط اللفظ.

التقديم والتأخير:

هنا نتناول بعض أسباب التقديم والتأخير في الآيات القرآنية.

تقديم المعمول على العامل – يأتي غالباً – ليفيد الحصر والاختصاص، سواءٌ كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً أو خبراً. والعامل كالمبتدإ والفعل، والمعمولُ كالخبر والفاعل والمفعول به والظرف و... علماً بأنّنا نرفض قضية العامل والمعمول ولانرى له أساسا بل هى مناسبات. (طهماسبي، ١٣٧٣هـ.ش: ١٨٦)

أمثلة من القرآن الكريم:

١) قال تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذة وإنْ تصبهم سيئة يطيروا بموسى و مَنْ معه) (الاعراف/١٣١). تقديم الخبر (لنا) على المبتدا (هذه) في هذه الآية الكريمة يدل على روح الأثرة وتضخم الإحساس بالذات عند بني إسرائيل الذين يزعمون أنه لافضل لأحد عليهم فيما يرفلون فيه من نعم، فهم وحدهم الجالبون لها والأحرياء بها.

٢) ومن هذا الباب قوله تعالى: (وظَنُّوا أَنَّهُمْ مّانِعَتُهُم حصونُهُم من الله). (الحشر/٢)

فقد قدم الخبر (مانعتهم) على المبتدإ (حصونهم) لنحو هذا الغرض. فإنّه إنّما قال ذلك ولم يَقُل: و ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم، لأنَّ في تقديم الخبر الذي هو (مانعتهم) على المبتدإ الذي هو (حصونهم) دليلاً على فرط اعتقادهم في حصانتها و زيادة وثوقهم بمنعها إياهم. و في تصويب ضميرهم اسماً لأنّ و إسناد الجملة إليه دليلٌ على تقريرهم في أنفسهم أنّهم في عزة و امتناع لايبالي معها بقصد قاصد، و لاتعرض متعرض. ليس شيءٌ من ذلك في قولك: و ظنّوا أن حصونهم مانعتهم من الله. (السامرائي، ١٩٩١م: ج،١ ١٣٩)

٣) وقال تعالى: (لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً). (البقرة/ ١٤٣)

Archive of SID

www.SID.ir

فقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) هو إثبات الشهادة لهذة الأمة، و قوله تعالى (يكونُ الرسول عليكم شهيداً) إثبات اختصاصهم بشهادة النبي(ص)، لأنَّ كلمة (عليكم) معمول و كلمة (شهيد) عامل، وقد تقدم المعمول على العامل فأفاد الاختصاص، أي أن الرسول(ص) لايشهدُ الّا على أمة الاسلام.

و يمكن أن يكون التقديم والتأخير من أجل أمور عدة كقوله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة).(القيامة/۲۲،۲۳) تقديم الجار في هذه الآية الكريمة قد أفاد التخصيص، و أنَّ النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة و تناسق السجع. (الهاشمي،ص۱۲۳) و معني الآية أنّ الوجوه تراها مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عمّا سواه ولذلک قدم المفعول، وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره، و قيل منتظرة إنعامه ورُدّ بأن الانتظار لايسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، و أن المستعمل بمعناه لايتعدي بإلى، وقول الشاعر:

وإذا نظرتُ إليک من ملک والبحر دونک زدتني نعماً

بمعني السوال فإن الانتظار ليستعقب العطاء. (البيضاوي، ۱۴۰۳هـ.ق: ج۵، ۲۶۷)

فهذه الآية تدلّ على عظم جمال الله تعالى، ذلك لأنّ الوجوه يوم القيامة تنظرُ إلى ربها وحده لا تحيد يميناً و لايسارا، فأنّ الجاروالمجرور (إلى ربها) معمولٌ و(ناظرة) عامل، و قد تقدم المعمول على العامل فأفاد قصرالنظر على الله وحده، و أن من شدة جمال الله تثبت الأنظار على الله و تلتفت العيون بعيداً عنه مشدودة لجمال الله.

و يمكن تقديمُ الخبر لإظهار تعظيمه أو تحقيره و...، نحو قوله تعالى: (الله يستهزئُ بهم)(البقره/۱۵).

علماً بأنَّ قضية العامل والمعمول محل الاختلاف، و يجدر بنا أن ننظر إليها من خلال المناسبات، و نبتعد من إرساء قوانين لها بحيث نلصق التهم لمن يرفضها.(للمزيد راجع القرطبي، الرد على النحاة)

www.SID.ir

أسلوب النفي

تعريفه: هو أسلوبٌ مِنْ أساليب اللغة العربية، يراد به نقض فكرةٍ وإنكارها، و هو ضد الإثبات.

الجملة الاسمية المنفية بـ(ليس) و الحروف التي تشبهها يجري بها عادة ما يجري بنواسخ الابتداء، فتجعل المبتدأ اسما لها و يبقي على رفعه، و تجعل الخبر خبرا لها و منصوبا.

نتناول في هذا القسم (ليس) والحروف التي تشبهها ونشير إلى فلسفتها اللغوية.

۱) **ليس**: فعلٌ ناقص جامد مبني على الفتح، تفيد معني النفي، وتختصُ بالدخول على الجملة الاسمية، فتنفى اتصاف اسمها بخبرها من حيث المعني، و أما من حيث العمل فترفع الأوّل اسماً لها، وتنصب الثاني خبراً لها، و يكون هذا العمل دون قيدٍ أو شرطٍ. كقوله تعالي: (ليس عليک هداهم) (البقرة/۲۷۲)

و أمّا لغوياً فيرى جرجي زيدان أنها (ليس) مركبة من «لا» و اسم معناه الوجود(زيدان، ۱۸۸۶م: ۸۳)

وللعبارة القرآنية في هذا الباب خصوصية تلفت النظر وتثير الاهتمام؛ ذلک أنَّ الخبر في الجملة المنفية بـ(ليس)كثير اتصال حرف الجر به، كقوله تعالى:(ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه وأعلموا أنّ الله غني حميد)(البقرة/۲۶۷) و قوله تعالى:(أليس الله بكافٍ عبده) (الزمر/۳۶). وقوله تعالى:(أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين)(العنكبوت: ۱۰)

يزعم النحاة أن هذه الباء زائدة يراد بها توكيد النفي لأن الموضع نصب، ولأنها لو حذفت لما تغير في معني الجملة شيء؛ ولكن كيف تكون زائدة و يكون موضعها نصباً و هى ترد على هذه الصورة في الاستعمال؟ وهل يجوز أن يقال إنَّ الأصل عدم وجودها مع ورودها في أكثر المواضع على هذا الوجه الذي سلفت اليه الإشارة؟(الجواري، ۲۰۰۶م: ۸۸).

Archive of SID

www.SID.ir

٢) ما: يرى جرجي زيدان أنّ «ما» إمّا أن تكون نافية مبدلة من (لا) أو (نا)، و إمّا أن تكون قد اكتسبت دلالة النفي بالمجاورة بمعني أن الاشوريين مثلاً استعملوا «ما» الموصولة مع «لا» النافية كلمة واحدة مدة للنفي، ثم صاروا يستعملونها وحدها ويقصدون بها النفي (زيدان، ١٨٨٦م: ٨٣).

قال الله تعالى (ماهذا بشراً) (يوسف/٣١)

و أما (ما) النافية فإن اقتران الباء بخبرها يكاد يكون هو الأصل، فلم يرد في العبارة القرآنية إلا موضعان تجرد فيهما خبر(ما) من حرف الجر، وهما قوله تعالى:(فلمّا رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهنَّ وقلن حاش لله ما هذا بشراً).(يوسف/٣١) وقوله تعالى: (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنَّ أمهاتهم).(المجادلة/٢)

و اما اقتران خبر «ما» بـ(الباء)شائع في الاستعمال القراني، نحو قوله تعالى:(ولئن أتيتَ الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تَبِعُوا قبلتَک و ما أنت بتابعٍ قبلتهم وما بعضهم بتابعٍ قبلة بعضٍ) (البقرة/١٤٥).

و أيضا يكثر في الجمل المنفية ورود(من)، و هى تتصل باسم(ما) كثيراً، كقوله تعالى: (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيعٍ).(السجدة/٤) وقوله تعالى: (ما لهم من الله من عاصم) (يونس/٢٧).

والنحاة يزعمون أن الباء و«من» في كل ما ألمحنا إليه ونحو ذلک زائدة، لإن الإعراب في كلٍّ إمّا نصب وإمّا رفع. والجر لا يتأتي بالقياس إلى ما رسموا من حدود الإعراب، لأنه في أصله صورة من صور المفعولية لا يباشر الفعل فيها مفعوله وإنما يتوصل الفعل إلى المفعول بحرف الجر، وهذا معنى تعليق الجار والمجرور بفعل أو ما هو بمنزلته، وهذا التعليق لايتأتى في خبر المجرور بالباء بعد «ليس» و«ما»، ولا في الاسم أو المبتدإ، ولا في الفاعل أو المفعول به، فلذلک حكموا بزيادة حرف الجر، ولم يزيدوا على القول إنه ورد لتوكيد النفي.(الجواري، ٢٠٠٦م: ٨٩-٩٠)

Archive of SID

www.SID.ir

وهذا القول غير محكم؛ لأن توكيد النفي متكأ هش، لايكاد يستقيم، مالم يقف على قاعدة المعني الأصلي لكلّ ما يرد في سياق النفي.

والسبب الرئيسي لتجاهل النحاة هذا الواقع هو استمساكهم بالأصول التي رسموها لقواعد الإعراب واتخاذهم إياها سبيلاً لايحيدون عنها مهما قام الدليل العلمي على تخطئتها أو ضيق حدودها عن استيعاب المادة العلمية.

بيان ذلک أنَّ أصولهم تقرر أن الحرف إذا اختص بالاسماء ولم يكن كالجزء منها عمل فيها الجر، وأنه إذا أشبه الأفعال في دخوله على الجمل عمل فيها عمل الأفعال من الرفع والنصب؛ فأداة النفي شبيهة بالفعل الناسخ، فهى تعمل عمله، وعمله رفع الأول و نصب الثاني على الأكثر عدا«لا» التي لنفي الجنس. إذن فهب هذه الأدوات ناصبة، فإن ورد المنصوب مجروراً بالباء أو بغيرها مهما كان وروده كثيراً فهو فرع عن النصب.

الفرق بين ما و ليس: كما ذكرنا سابقا أنّه ليس من حكمة العرب أنْ يجعلوا مبانيَ مختلفة لمعني واحد؛ وهذا أمر واضحٌ في طبيعة دلالة الجمل العربية. و في بحثنا هذا نرفض أن تكون الأداتان المختلفتان في المبنى، متشابهتين تماماً في المعني، ولابدَّ أن تكون لكل واحدة منهما خصوصية ليست فيالأخرى.

يرى الدكتور فاضل صالح السامرائي أنّ(ليس) و(ما) ليستا متماثلتين في النفي تماماً، بل بينهما أوجه شبه وأوجه مخالفة، ويعتقد أنَّ (ما) أقوى في النفي من (ليس) ويذكر دلائل عدة لأثبات رأيه، منها:

ألف) استعملت العرب (ليس) استعمال الأفعال، فقالوا لست، وليسا وليست، وعلى هذا فالجملة المبدوءة بها فعلية، والجملة المنفية بـ (ما) اسمية، والجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية.

ب) وردت (ليس) في القرآن الكريم في (٤١) واحد وأربعين موضعا، وجاء اسمها نكرة، ولم تدخل (من) الزائده المؤكدة عليه في جميع مواضعه. في حين وردت (ما) في

Archive of SID

www.SID.ir

(٩١) واحد وتسعين موضعا من القرآن جاء مرفوعها نكرة، وسبقته (من) الزائدة الدالة على الاستغراق والتأكيد في جميع مواضعه. فمن الأمثلة على«ما» قوله تعالى: (مالكم من إلهٍ غيرُهُ) (الأعراف/٥٩) و(ما لهم بذلك من علم). ومن الأمثلة على «ليس» قوله تعالى: (ومالیس لكم به عِلْمٌ) (النور/١٥٠) فهذا الاختلاف مما يدل على أنّ (ما) آكد وأقوى.

ج) ورد خبر «ما» مقترناً بالباء الزائدة الدالة على التوكيد في (٧٦) ستة وسبعين موطناً وفي ثلاثة مواطن فقط غير مؤكد بالباء الزائدة وهى قوله تعالى:(ما هذا بشراً) (يوسف/٣١٠) وقوله:(فما منكم من أحدٍ عَنْهُ حاجزين) (الحاقه/٤٧) في حين ورد خبر (ليس) في (٢٣) ثلاثه وعشرين موطناً مؤكدّاً بالباء الزائدة، و في خمسة مواطن مجرداً منها.(نفس المصدر: ج١، ٢٣٠-٢٣١)

٣) لا: أقدم أدوات النفي في العربية(لا). و يظهر أنَّ النطق بها طبيعي لوجودها في سائر اللغات على السواء بمعني واحد.(جرجي زيدان، ١٨٨٦م: ٧٩) و هى حرف نفي، تعمل عمل (ليس) عند أهل الحجاز، في حين أنّها مهملة غير عاملة عند بني تميم.

كقول الشاعر:

نصرتك إذ لا صاحبٌ غير خاذل فبوئتَ حصناً بالكماة حصينا

(ابن عقيل، ج١، ص٢٨٩)

و(لا) هذه تنفي الجنس برجحان، ويحتمل أن يكون نفيها للوحدة؛ فإن قلت: (لا رجلٌ حاضراً) نفيت أن يكون أحد من جنس الرجال حاضراً، و يجوز أن يراد بذلك لارجل واحدٌ، و هو أمر مرجوح و لافرق بين قولنا (لارجلَ حاضرٌ) و(لا رجلٌ حاضراً) فإن كليهما لنفي الجنس، غير أنَّ في الجملة الأولى هذا الاحتمال، و من ظنَّ أن العاملة عمل ليس لاتكون إلا للوحدة كان غالطاً. (نفس المصدر، ج١،ص ٢٣٦)

Archive of SID

www.SID.ir

۴) إنْ: لم تقتصر العربية على اشتقاق حروف للنفي من «لا» بل اخترعت للنفي أدوات جديدة كـ«إن»، ويمكن أن يكون أصل معناها (أين)، والتوصل من هذا المعني إلى معنى النفي سهل(زيدان، ۱۸۸۶م: ۸۴).

و هى حرف نفي تعمل عمل ليس، كقوله تعالى: (إنْ هذا إلّا ملكٌ كريمٌ).(يوسف/۳۱) فـ«إن» غيرعاملة هنا لانتقاض نفيها بـ (إلّا)، وفي قوله تعالى:(إنْ عليك إلّا البلاغ) (شورى: ۴۸) غيرعاملة لتقدم خبرها على اسمها، و في قوله تعالى:(وإنْ أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون)(أنبياء/۹۲) دخلت على الفعل؛ إذن تدخلُ «إن» على الجمله الاسمية والفعلية، و غالباً ما يقترن خبرها بـ (إلّا) و هى أداة حصرٍ.

و وفقاً لما جاء في القرآن الكريم تعتبر (إن) أشدّ توكيدا من (ما) في النفي و تستعمل ـ في الغالب ـ للإنكار. يذكر السامرائى أمثلة كثيرة دالة على ما يميّز (إن) من (ما) في النفي، كقوله تعالى:(ما أنتم إلّا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من شيءٍ إنْ أنتم إلّا تكذبون)، (يس/۱۵) فانَّ نفي الثاني أقوى فجاء بإن، فإنَّ الأول إثبات البشرية، والثاني الكذب، وهم بشر لاشك في ذلك فجاء به بما، والثاني إثبات الكذب للرسل، عليهم السلام، وإنكار أن يكونوا صادقين و هو يحتاج إلى توكيد أشدّ فجاء به بإنْ. (السامرائي، ۱۹۹۱م: ج۱، ۲۳۵). والشاهد على هذا كثير في القرآن الكريم كقوله تعالى:(فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلَّا بشر مثلكم يريد أن يتفضَّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هو الَّا رجل به جِنَّةٌ فتربصوا به حتى حينٍ).(۲۵و۲۴/المؤمنون) والواضح كل الوضوح أنَّ النفي في الثاني أي بـ «إن» آكد وأقوى من النفي في الأول أي بـ «ما»النافية.

۵- لات: قال سيبويه لات تشبه ليس في بعض المواضع، ولم تتمكن تمكنها ولم يستعملوها إلا واسمها مضمرٌ، لأنها ليست كـ (ليس) في المخاطبة والإخبار عن غائب، فتقول: لست وليسوا وليس هو، ولات لا يكون فيها ذاك، قال الله تعالى: (فَنَادَوْا وَلَاتَ

Archive of SID

www.SID.ir

حِينَ مَنَاصٍ) (سورةص/۳). و قد قُرِئَ شذوذا برفع الحين لأنها بمنزلة ليس.(سيبويه، ۱۳۷۵هـ.ق: ۱۲۸) و قد خُفِضَ الاسم بها، قال أبو زبيد:

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء (الخفيف)

وإنما تكون لات مع الأخبار، و تعمل فيها فإذا جاوزتها فليس لها عمل؛ و قال بعض البغداديين: التاء تزاد في أول حين،و في أول أوان،وفي أول الآن،والدليل أنهم يقولون تحين من غير تقدم لا واحتج بقول الشاعر:

العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم (الكامل)

وقال ابن الأعرابي: في قول الشاعر (تحين ما من عاطف) العاطفونه بالهاء، ثم تبتدي فتقول: حين فإذا وصلت صارت الهاء تاء.(الزجاجي، د.ت: ۲۵)

المنصوبات والوظيفة الإعرابية

الظاهرة الإعرابية التي تنفرد بها العربية عن كثير من لغات الأمم القديمة والحديثة، هى أكثر الموضوعات إثارة للاهتمام، واستغراقاً لجهود الدارسين، لما تمثّله هذه الظاهرة من أهمية في نظام هذه اللغة، و دور في تحديد مدلولاتها. وآية ذلك ما نراه من ضخامة المكتبة النحوية التي تشغل حيزاً واسعاً في عالم المصنفات العربية القديمة والحديثة، وضخامة الجهود التي تبذل في دراسة الموضوعات النحوية في المعاهد العلمية العربية المعاصرة على مختلف مستوياتها.

ولأن ظاهرة النصب أوسع الظواهر النحويّة الإعرابية شيوعاً في الكلام العربي ولأن العرب كانوا يستريحون إليها حين يكون الاسم خارجا عن دائرة الإسناد أو الإضافة، أطلق عليها إمام العربية وفقيهها الأكبر الخليل بن أحمد الفراهيدي "خزانة النحو"، و قال مقالته المعروفة: «النصب خزانة النحو والبصرة خزانة العرب.» (أبو جناح، ۱۹۹۵م: ۲۴ نقلا عن الوليدي، ۲۰۰۵م: المقدّمة) و كانت هذه السعة مدعاة لانشغال النحويين بتفسير تجلياتها المتنوعة، و تأويل أمثلتها المتشعبة في الكلام العربي، و لو أنهم تدبروا مقولات السلف

Archive of SID

www.SID.ir

النابهين مثل: الخليل و غيره كابن السراج الذي وصف المنصوبات بأنها «كل أسم تذكره بعد أن يستغني الرافع بالمرفوع و ما يتبعه في رفعه – إن كان له تابع – و في الكلام دليل عليه فهو نصب.»(ابن السراج، ۱۹۸۱م: ج۱، ۲۱۲ نقلا عن الوليدي، ۲۰۰۵م: المقدّمة) أقول لو أنهم تدبروا هذه الرؤية المتبصرة لوفّروا على أنفسهم وعلى الدارسين كثيراً من الجهد والقول في تفصيل ما ذهبوا إليه في تفسيرها. لكنها غواية العقل الإنساني في المغامرة الفكرية التي تذكيها الرغبة في الجدل، والولع في المجابهة على أيّ مستوى، و لعلّها سُنَة الحياة التي تحرك الطاقات البشرية في مختلف المجالات مصداقا لقوله تعالى (ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضُهم ببعضٍ لفسدتِ الأرضُ)(البقرة/۲۵۱).(الوليدي، ۲۰۰۵م: المقدّمة)

أما النصب ففي معناه اللغوي معنى التوسط بين طرفين، طرفي الرفع والخفض. فهو تارة رفع ما هو مستحق للخفض إلى المرتبة الوسط، و تارة خفض ما كان مستحقاً للرفع إلى ما دون مرتبة الرفع. والنصب في النحو معنى واسع رحب وسيع الجنبات. إنه يكون في كل ما هو دون المرفوع من المعربات، أسماءً كانت أو أفعالاً، و فوق كل ما يكون أعلى من المخفوض في الأسماء. و قد يصح ان يقال إنه أوسع معاني الإعراب مجالاً، و أكثرها اشتمالاً على معانٍ فرعية، قد يكون غير ميسور ضمها بعضها إلى بعض، أو نظمها في سلك معنوي واحد، كالذي يكون في الرفع والخفض.(الجواري، ۲۰۰۶م: ۴۳)

المنصوبات فى العربية

المنصوبات فى العربيه نوعان:

۱_ نوع يؤدي وظيفة إعرابية في أثناء الجملة، كالمفعولات، والحال، و غيرها من متعلقات الجملة، نحو: قوله تعالى: (واشتعل الرأس شيباً) اشتعل: فعل ماضٍ/ الرأس: فاعل و مرفوع لأنه مسند اليه فى جمله فعلية/ شيباً: تمييز يوضح معنى مبهما قبله، و هو منصوب لأنه لم يدخل في الإسناد، ولا إضافة.

Archive of SID

www.SID.ir

٢_ ونوع لا يؤدي شيئاً من ذلک، ولكنه مفتوح الآخر، لأنه لا سبيل إلى تحريک آخره بغير الفتحة، ولأن الفتحه هى الحركة الخفيفة التي يستريح إليها العرب حين يريدون تحريک آخر كلمة لاتدخل في نطاق إسناد ولا أضافة، و لاتحمل أيّ معنى إعرابيّ، و ذلک كالمناديات المنصوبة، فليس في المنادى إسناد، ولا إضافة، وليس المنادى من متعلقات الجملة. نحو: ياعبدالله أقبل، و يا راغباً في النجاح اجتهد و نحوها. (المخزومي، ١٩٨٦م: صص٧٠و٧١).

فليس (عبدالله) أو(راغباً) مفعولاً أو شبيهاً بالمفعول، و حين أريد تحريكهما في وصل الكلام نصبا، لأنه لا سبيل الى تحريكهما بغير الفتحة، ولأن الفتحة هى الحركة التي يلجأ إليها العرب إذا أرادوا تحريک الكلمة الخارجة عن الإسناد والإضافة، مما كان من متعلقات الفعل، و مما لم يكن من متعلقاته.

هنا نتطرق الى ثلاثة مباحث من المنصوبات، أي: المفعول معه، والمفعول له، والمفعول المطلق واختلاف النحويين فيها.

الاول: المفعول معه ما شأنه؟

يُنصبُ تالي الواو مفعولاً مَعَه في نحو «سيري والطّريق مُسرعه»

(ابن عقيل، ج١، ٥٣٦)

تعريفه: هو المذكور بعد واو المعية لمصاحبة معمول عامله. نحو سرت وزيداً، و ما لک وزيداً. (جامع المقدمات، ج٢، ٤٧٤) أو قل هو اسم فضلة منصوب، قبله واو بمعني (مع) للمصاحبة (لا للعطف والمشاركه) مسبوقة بجملة، نحو (مشى خالدٌ والجدار). و كقوله تعالى: (يا قومُ إنْ كان كُبُر عليكم مقامي و تذكيري بآيات الله فعلى الله توكّلتُ فأجمِعوا أمرَكم و شركاءَ كم)(يونس/ ٧١) أي: أجمِعوا أمرَكم بصحبةِ شركا ئِكم. ومن هذا يتبين أنَّ المفعول معه ما اجتمع فيه ثلاثة شروط:

١. أن يكون اسماً (سرتُ والنيلَ).

Archive of SID

www.SID.ir

۲. أن يكون بعد جملة فيها فعلٌ كما ذكرنا.

۳. أن يكون واقعاً بعد الواو الدالة على المصاحبة، وهي التي تفيدالتخصيص على المعية.

وذلک قولک: «ما صنعت و أباک» و«لو ترک الناقة وفصيلها لرضعها»، إنما أردت: ما صنعت مع ابيک، و لو ترک الناقة مع فصيلها، فالفصيل مفعول معه، والأب کذلک، والواو لمتغيِّر المعنى، ولكنها تُعملُ في الاسم ما قبلها(سيبويه، ۱۳۷۵هـ.ق: ج۱، ۲۹۷).

و يعني النحاة بالمصاحبة، مصاحبة ما بعد الواو لما قبلها في وقت واحدٍ سواء اشتركا في الحكم أم لا. فقولك (جئت و محمداً) معناه انكما جئتما في وقتٍ واحدٍ، و هذا هو الفرق بين واو المعية والعطف. فواو العطف تقتضى التشريك في الحكم سواء اقترن معه بالزمان أم لم يقترن. و اما واو المعيه فتفيد الاقتران بالزمان سواء اشترك بالحكم أم لا. (السامرائي، ۱۹۹۱م: ج۲، ۲۰۵) وأمّا حقيقة ما سميّ بالمفعول معه أمره مختلف، لأنه ليس من متعلقات الأفعال، و ليس له علاقة بالفعل، أو ما يشبهه، فتسميته بالمفعول لم تقم على أساس مفهوم إلّا ما أمعنوا فيه من قولٍ بالعامل، و زعمٌ بأن الحركات آثار للعوامل، بحيث صاروا لا يتصورون اسما منصوبا إلّا وهو معمول لفعل، أو شبيه بالفعل.

و حقيقة هذا الموضوع، أعنى موضوع ما سموه بالمفعول معه، أن يذكر اسم بعد(واو) لم تؤدّ الوظيفة التي نيط بها أداؤها، و هى الدلالة على التشريک أو العطف، فينتصب هذا الاسم، لأنه لم يعد شريكاً لما قبل الواو، فيما يحمل من معنى إعرابي، لأن الواو التي سبقته ليست هى الواو التي تنصّ على أنّ مابعدها شريک لما قبلها فيما يترتب عليه.

لأننا اذا قلنا: لعب الأطفال وضفَّة النهر، فقد جئنا بواو لا تدل على التشريک، و باسمٍ بعدها لايشارک ما قبلها، لأن (الضِّفة) لاتشارک (الأطفال) في اللعب، و لذلک لم ترتفع (الضِّفة)، كما ارتفع (الأطفال) لأنها لم تكن مسند إليه. و لم تنخفض: لأنها ليست بمضاف إليه، فلم يبق إلّا النصب، و قد مرَّ بنا أنّ النصب رمز يشار به إلى ما لايدخل في الإسناد، ولا الإضافة.

Archive of SID

www.SID.ir

و لم ينصب هذا الاسم بعد الواو في هذا المثال ونحوه بالفعل، كما زعموا، لأن الفعل(لعب) فعل لازم، ولأنّ الاسم، أعني (الضِّفة)، ليس مفعولا يتعدي إليه فعل الفاعل، لا مباشرة ولابواسطة .(المخزومي، ۱۹۸۶م: ص۱۱۵)

والعطفُ إنْ يمكن بلا ضعفٍ أحقّ والنَّصبُ مختارٌ لدي ضعف النَّسق
والنصبُ إنْ لم يَجُزِ العطفُ يجب أو اعتقد أضمار عاملٍ تُصِب
(ابن عقيل، ج۱، ۵۳۹)

يردد النحاة الاسم التالي لهذة الواو، بين أن ينصب مفعولاً معه، أو يعرب معطوفاً على ما قبله. ويقولون: يترجح النصب إذا تقدم الاسم، الفعل أو شبهه، وكان في العطف ضعف، و ذلک مثل قمت و زيداً. و يترجح العطف إذا لم يسبق فعل، مثل (كيف انت وزيد) واذا لم يكن في العطف ضعف. مثل قمت أنا و زيد. و هم يطبقون في مثل(كيف انت و زيد) على ترجيح الرفع، و ضعف النصب؛ لأن الاسم لم يتقدمه فعل مع أنَّ لكل من التركيبين معنى خاصاً، وموضعاً لايليق به صاحبه. (مصطفى، ۱۹۹۲م: ۱۵۹)

ولكن في هذا التقسيم نظرٌ، ولأنه ليس عندنا جواز أمرين مع الترجيح أو بدون الترجيح، وإنما ذلك بحسب المعنى والقصد، فإن قصد التنصيص على المصاحبة نصب، وإنْ لم يقصد ذلك عطف، ففي قولك (جاء محمد وخالد) لا يكون العطف أرجح وإنما هو بحسب المعني والقصد، فإن إراد أن ينص على أنهما جاءا في وقتٍ واحدٍ نصب لا غير و إنْ أراد أنهما اشتركا في المجيء، من دون نظر إلى المصاحبة عطف. (فاضل السامرائي، ۱۹۹۱م: ج۲، ۲۰۸) و هذا رأي صحيح، في هذا القسم كالأقسام الأخرى من قواعد اللغة العربية فلايختلف المبنى من العطف إلى المعية الّا أثّر هذا الاختلاف في المعنى. كقول الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال
(ابن هشام،أوضح المسالك، ۱۹۵۶م: ج۲، ۵۴)

Archive of SID

www.SID.ir

لم يقل الشاعر (بنو ابيكم)، لأنَّ الرفع يفسد المعني المراد، إذ يكون عند ذلك: {كونوا وليكنْ بنو ابيكم ايضاً، في مكان الكليتين....} و هذا غير مراد. وإنما المراد أمرُه لهم، أن يكونوا في صحبة بني ابيهم كالكليتين من الطحال. ولذلك نصب (بني) على المعية.

الواو ومع:

يقول النحاه أنّ الواو في نحو (سرتُ ومحمداً) بمعني مع، لكن يرى الدكتور فاضل صالح السامرايي الواو في نحو الشاهد السابق لمجرد الاقتران والاصطحاب ويقول الفرق الرئيسي بين الواو والمعية ومع، أنَّ (مع) مكانٌ أو زمان. فالأوّل نحو (جئتُ مع سعيد) والثاني نحو (جئتُ مع الغروب)، بل الأكثر للمكان وقد ورد في القرآن الكريم (١٦٠) مائه والستين موطناً كلها للمكان، اما الواو فهى حرفٌ تفيدُ المصاحبة والاقتران، و ليس مكاناً أو زماناً ولذا قد يختلفان في المعني و في ورودهما في التعبير، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: (فاستقِم كما أُمِرْتَ ومن تابَ معك) (هود/١١٢)، فهناك فرقٌ بين قولك (و مَنْ تابَ معك)؛ وقولنا (ومن تاب وايّاك) فمعني (مَنْ تاب معك) هنا مَنْ تاب كائناً معك، أو صائراً معك فهى مكانٌ و لو أبدل الواو بها لتغير المعني، فلو قال (و من تاب وايّاك) لكان المعني أنكما اقترنتما في التوبة: أي تبتما في وقت واحد، و قد تحتمل (مع) معني الواو ايضاً. إلّا أنها هنا لا يراد بها إلّا المكان لا الاقتران. (السامرائي، ١٩٩١م: ج٢، ٢١٠)

الثاني: المفعول له ما شأنه؟

يُنصبُ مفعولاً له المصـدرُ إن أبانَ تعليلاً، كـ «جُدْ شكراً، ودِنْ»
وهو بمـا يعمـلُ فيـه متَّحـد وقفاً وفاعلاً،....

(ابن عقيل،ج١، ٥٢٠)

تعريفه: المصدرُ الفضلة المعلل لحدث شاركه في الزمان والفاعل.

Archive of SID

www.SID.ir

و بتعبير آخر: هو المنصوب بفعل فُعِلَ لتحصيله أو حصوله، نحو: ضربته تأديباً، و قصدت عن الحرب جبناً. و قوله: (و هو المنصوب بفعل فُعِلَ لتحصيله) كالتأديب في المثال الأول و هو الذي يكون وجوده بعد الفعل (مدرس افغانی، جامع المقدمات، ج۲، ۴۷۴).

وعلى هذا يشترط فيه، عند النحاة، الشروط التالية.

۱) أنْ يتحد مع عامله في الزمان والفاعل. كقوله تعالى: (ينفقونَ اموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله). (البقره/۲۵۶)

۲) أن يكونَ مصدراً.

۳) أن يكون مذكوراً للتعليل.

۴) أن يكونَ قلبياً أي أنْ يعبر عن رغبة من القلب، أو عن شعور وإحساس. ومن هذه المصادر (خشيةً، رغبةً، إجلالاً و....).

و إذا فقد شرطاً من الشروط السابقة وجب حينئذٍ جره. وحذا الزمخشري حذو جمهور النحاة في الشروط السابقة، فمثلاً في تفسير الآية الكريمة:(هوالذي يريكم البرقَ خوفاً و طمعاً) (الرعد/۲۱) يرى أنَّ قوله (خوفاً و طمعاً) يحتمل معنيين و يحتمل إعرابين، فهما يحتملا النصبُ على الحالية، أي: خائفين و طامعين، أو النصب على أنه المفعول له، على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة الخوف و الطمع، أو على معني: إخافةً و إطماعاً. (الزمخشري، الكشاف، ۱۹۷۷ج۲، ۳۵۲) و لم يجعلها منصوبين على المفعول له من دون تقدير أو تأويل، لأنه يذهب مذهب جمهور النحاة أنَّ من شروط المفعول له المشاركة في الفاعل ولذا اضطرَّ الزمخشري إلى التقدير والتأويل فقال «خوفاً وطمعاً» لا يصح أن يكون مفعولا لهما. لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلِّل إلّا على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف و طمع، أو على معنى: إخافةً و إطماعاً.(المصدر نفسه: ج۲، ۳۵۲) و ما ذهب إليه الزمخشري و غيره من جمهور النحاة من اشتراط الاتحاد في الفاعل ليس أمراً مجمعاً عليه، فقد ذهب ابن

Archive of SID

www.SID.ir

خروف إلى عدم اشتراط ذلك تمسكّاً بقوله تعالى: (يريكمُ البرق خوفاً وطمعاً) حيث إن فاعل الإرادة هو الله، والخوف من المخاطبين.(الشوكاني، ١٩٦٨م: ج٣،٩٠)

يرى الدكتور السامرائي أنَّه لا يشترط في المفعول له إلّا كونه مصدراً، فضلةً، مفيداً للتعليل، و يردُ الشروط الأخرى، ويقول: لا أدري سبباً مقبولاً في منع نحو: (قصدتُ مكه أداءً لفريضة الحج) فزمن القصد غير زمن أداء الفريضة، وقوله تعالى: (وأنْزلَ التوراة والإنجيل من قبل هدىً للنّاس) (آل عمران/ ٣-٤)، و من المعلوم أنَّ هداية الناس ليست مقارنةً لوقتِ الإنزال، وإنما هي بعده.(السامرائي، ١٩٩١م:ج٢، ١٩٥) ومن عدم الاتحاد في الفاعل قوله تعالى:(فلمّا جاءَهم نذيرٌ ما زادهم إلّا نفوراً استكباراً في الارض ومكرَ السَّيىء)(فاطر/٤٣- ٤٢) ففاعل زيادة النفور النذير، و فاعل الاستكبار الكفار، فالفاعل مختلف. ويقول لا يشترط أن يكونَ قلبياً، و إنْ كان في أكثر أحواله قلبياً، لأنَّه لا يمتنع أن تقول: (فعلتُ هذا إطفاءً لنار الفتنة) وهو غير قلبي وقوله تعالى: (وحرموا ما رَزَقَهُم اللهُ افتراءً على الله)(الانعام/١٤٠) والافتراء ليس قلبياً. (المصدر نفسه: ج٢، ١٩٥-١٩٦).

الثالث: المفعول المطلق ما شأنه؟

ذهب النحاة إلى أنَّ أنواع المفعول المطلق ثلاثةٌ:

توكيداً أو نوعاً يبينُ أو عددا، كسِرتُ سيرتين، أو: سيرَذي رشد.

(ابن عقيل، ص٥٠٧).

أحدها: المؤكد لعامله، نحو:(ورتِّل القرآن ترتيلاً).

الثاني: المبين لنوعه، نحو:(فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

الثالث: المبين لعدده، نحو:(وحُملت الأرضُ والجبالُ فدكتا دكةً واحدة)

قال الجامي فيه: «قد يكون المفعول المطق للتأكيد إن لم يمكن في مفهومه زيادة على ما يفهم من الفعل، وقد يكون للنوع إن دل على بعض انواعه، ويقول: الأول، أي:

Archive of SID

www.SID.ir

الذي للتأكيد، لايثنى و لايجمع لأنَّه دال على الماهية المعراة عن الدلالة على التعدد؛ والتثنية والجمع يستلزمان التعدد» (مدرس افغانى، جامع المقدمات، ج٢،ص ٤٧).

اما الدكتور فاضل صالح السامرائي خلال تقسيمه الجديد للمفعول المطلق فيؤكِّدُ على أنَّ تقسيم النحاة ليس بجامع، ويذكر آياتٍ من القرآن الكريم مؤيدةً لِرأيه ونظره، فرأيه يتّفق مع ما أشرنا إليه في المقدّمة: بأنَّ النحاه في الغالب كانوا مستندين على الشعر والنثر العربي، وعند عدم مطابقه شاهدٍ ما لقواعدهم المستنبطة منهما سمّوه شاذاً، واستثناءً، وقليلاً، وجائزاً و.... يرى السامرائي أنّ هذا التقسيم للمفعول المطلق لم يستوفِ أقسام المفعول المطلق، ولو اقتصرنا على هذه الأقسام لأوقعنا ذلك في إشكالاتٍ لا مفرَّ منها. ومن ذلك على سبيل المثال قولهم: خالدٌ سيراً، وخالدٌ سيراً سيراً، مما لا يصحُ أنْ يكون المصدرُ فيه خبراً عن المبتدإ، وهو ما قال فيه ابن مالك:

كذا مكرر وذو حصر ورد نائب فعل لاسم عين استند

(المصدر نفسه: ص٥١٦)

فهم يقولون: إنّنا إذا كررنا المصدر في نحو هذا، كان الحذف واجباً، وإنْ لم نكرره كان الحذف جائزاً. ففي قولنا (خالداً سيراً) يكون ذكر العامل وحذفه جائزين، فأصلُ (خالدٌ سيراً) هو (خالدٌ يسير سيراً) ولكنا لو قلنا لأحد من المنتسبين إلى هذا العلم: اِحذف العامل (يسير) من هذا الجملة لقال لنا؛ هذا ممتنعٌ لأنّه لايجوزُ حذف عامل المؤكد. كما قال ابن مالك.

وحذف عامل المؤكد امتنع وفي سواه لدليلٍ متسع

(المصدر نفسه: ٥١١)

و هذا تناقضٌ –كما ترى– وهم يقولون: هو جائز الحذف، ويمنعون حذفه. (السامرائي، ١٩٩١م: ج٢، ١٣٢) وكذلك يسمي النحاة المفعول المطلق في نحو (قمتُ بالأمر قياماً) مؤكداً لعامله، والعامل هنا الفعل. ومرادهم بالتأكيد ما تضمَّنه الفعل بلازيادة عليه، ولم يتضمن

Archive of SID

www.SID.ir

الفعل إلا الماهية من حيث هيهي، والمقصد من الماهية كذلک (جامع المقدمات: ج١، ٤٧٠). ولكن يرى الدكتور السامرائي أنّه في نحو هذا مؤكِّدٌ لمصدرالفعل لا للفعل، لأنَّ الفعل ما دلَّ على حدثٍ مقترنٍ بزمن، اما المصدر فهو الحدث المجرد، وإذا المتكلم احتاج الى توكيد الفعل كله يكرره فيقول (قامَ قامَ محمد) فيكون قد أكَّد الحدث والزمان وقديحتاج إلى توكيد الحدث فقط: يقول: قامَ محمد قياماً وقد يؤكِّد الزمن الذي تضمنه الفعل دون الحدث فيأتي بالظرف المؤكد: كقوله تعالى: (سبحان الّذي أسْرَي بعبده ليلاً مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأقْصى)(الاسراء/١) لأنّ الإسراء لا يكون إلّا في اللّيل. (المصدر نفسه: ج٢، ١٣٠) فهذا القسم من المفعول المطلق إذن مؤكد لمصدر عامله سواء كان فعلاً أم وصفاً نحو «محمد قائمٌ قياماً».

حروف الجر

قبل الحديث عن حروف الجر، ومن نافلة القول نقدم بعض معانيها لغةً واصطلاحاً، تلك المعاني الواردة في المعاجم العربية لكلمة «الحرف»، و هي على النحو الآتي:

١) الحرف من كل شيءٍ: طرفه وجانبه.

٢) يقال: فلانٌ على حرفٍ من أمره: ناحية منه، إذا شيئاً لايعجبه عَدَل منه.

٣) قال تعالى: (و من الناس مَنْ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ)؛ {الحج/١١} أي يَعْبُدُه في السّراءِ لا في الضّراءِ.

٤) الحرف: كلّ واحدٍ من(حروف المعاني)، وهى التي تدل على معانٍ في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام، تتألّف من حرف أو أكثر من حروف المباني، و هى أحد اقسام الكلمة الثلاثة من اسم وفعلٍ وحرفٍ.

٥) الحرف: اللغة واللهجة، منه الحديث الشريف: «نزل القرآن على سبعة أحرفٍ» (ياقوت، ١٩٩٦م: ٨٨٣)

Archive of SID

www.SID.ir

و قبل أن ندرس هذه الحروف، وبيان عملها النحوي، ومعانيها، علينا أنْ نمعن النظر في هذه الحقيقة بأنَّ لحروفِ الجر دورٌ بارزٌ في الكشف عن دقائق المعاني من خلال التراكيب، وتعلق الكلام بعضهُ ببعضٍ، فتتولدُ دلالات مختلفة باختلاف الحروف الداخلة في التراكيب، لذلك انتبه العلماء إلى تلك الألفاظ ووضعوها في المكان المناسب لها، فراحوا يعللون اختيارها وإيثارها على غيرها بحسهم اللغوي المرهف، لإفادة المعاني المرادة، كما قلنا العدول من تعبيرٍ إلى تعبيرٍ لابُدَّ أن يصحبه عدول معنىً الى معنىً. فالأوجه التعبيرية المتعددة هي صورٌ لأوجه معنوية متعددة.

وفي البدايه لابُدَّ من الإشارة إلى مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين حول حروف الجر ومعانيها.

نيابة حروف الجر بعضها عن بعض:

ذهب جمهور الكوفيين إلى أنَّ حروف الجر ينوبُ بعضها عن بعضٍ(شرح ابن عقيل، ج٢ ص١٧)، فمثلاً قد تأتي الباء بمعني (على) كقوله تعالى (و منْ أهل الكتاب مَنْ إنْ تأمنهُ بقنطارٍ يُؤدِّه إليك) (آل عمران/ ٧٥) أي (على)؛ وتأتي بمعني (عن)، نحو قوله سبحانه: (و سألَ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ)(المعارج/ ١) أي: عن عذاب؛ و تأتي (من) بمعنى (على) كقوله: (ونصرناه من القوم الذينَ كذَّبوا)(الأنبياء/٧٧) أي: على القوم؛ و تأتي بمعني (عن) كقوله تعالى: (لقد كنت في غفلةٍ من هذا)(ق/ ٢٢) أي عَنْ هذا وألخ.

Archive of SID

www.SID.ir

مذهبُ جمهور البصريين: أنّ حروف الجر لا ينوبُ بعضها عن بعضٍ، إلّا شذوذاً وأمّا قياساً فلا. إذ حروف الجر إمّا مؤوّلة تأويلاً يقبلهُ اللفظ(مجازا) وإمّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدي بذلك الحرف:

١-**المجاز:** كما في قوله تعالى(ولأصَلِبَنَّكم في جذوع النخل). (طه/٧١) ذهب البصريون إلى أنَّه ليس بمعني (على) ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذوع بالحال في الشيء فهو من باب المجاز. (فاضل السامرائي، ١٩٩١م: ج٣،٦)

٢-**التضمين:** التضمين في النحو و في اللغة هو (إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه) (أبو البقاء الكوفي، ١٩٧٦م: ٥٠) أو أنْ تقصد للفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معني فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيءٍ مِنْ متعلقاته.»(الجرجاني، ١٩٤٨م: ج١، ٩٧) والغرضُ من التضمين هو التوسع في المعني مع الإيجاز، وذلك بإعطاء مجموع المعنيين، المعني الحقيقي للفظ والمعني المضمّن. فللتضمين غرضٌ بلاغيٌ لطيفٌ، وهو الجمع بين معنيين بأقصر أسلوب. وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معني الفعل الأوّل ومعني الفعل الثاني، وذلك نحو قوله تعالى:(وَلا تجهَرُوا له بالقول كجهرِ بعضكم لبعضٍ) فى هذه الآية الشريفة حرف «اللام» تضمن معني «على» أي لا تجهروا عليه بالقول، والعرب تقول: سقط فلان لفيه، أي: على فيه (السامرائي، ١٩٨١م: ١٠٨) وكقوله تعالى:(أرسل عليهم طيراً ابابيل) عدِّي فعل (ارسل) ب(على) لتضمُّن معني (سَلَّط):أي سلَّط عليهم طيراً أبابيل.

كما جاء في شعر زهير:

عَفَا من آلِ فاطمةَ الجِواءُ فَيُمْنٌ، فالقوادِمُ فالحِساءُ

(ثعلب، ١٤٠٣هـ.ق: ٥٢)

في هذا البيت عُدِّي (عفى) بـ(من) لتضمّن معنى(خلا): أي درسَ وخلا من آل فاطمه. والبصريون أيضاً يعتقدون بنيابة كلمةٍ عن أخرى شذوذاً. وأمَّا النيابة المطلقة لديهم مردودٌ

Archive of SID

www.SID.ir

ويعتقدون لو صَحَّ ذلك، لصَحَّ أن تقول (سرتُ إلى زيدٍ) وأنت تريد (معه)، وأن تقول: (زيدٌ في الفرس) و أنت تريد عليه، و... مما يطول ويتفاحش.(السامرائي، ١٩٩١م: ج٣، ٧)

والصحيحُ هو أنّ حروف الجر قد تكون بمعني غيرها في موضعٍ دون موضعٍ على حسب الأحوال الداعية إليها، وأمّا في كل موضعٍ وعلى كلّ حالٍ فلا.

ترجيح الحروف بعضها على بعض:

يختلف التركيب الكلامي من شخص لآخر، فإنَّه في الكلام الفني قد يفضّل المتكلم حرفاً على حرفٍ، أو لفظاً على لفظٍ، لأداء معني معينٍ، أولدلالة معينة. وسنرى بأنَّ هذه المسألة ليست من باب تناوب الحروف، ولا من باب التضمين، بل يأتي الحرف على بابه في إفادة معينة. وفيما يأتي أمثله من ذلك:

١) **ترجيحُ (الباء) على (في):** كما جاء في التنزيل؛ في حكاية نوح: (قال الملأُ من قومهِ إنّا لنراك في ضلالٍ مبينٍ قال يا قوم ليس بي ضلالةٌ ولكنّي رسول من ربّ العالمين)(الأعراف/ ٦٠و٦١)

نلاحظ أنَّ السياق القرآني خالف بين مقولة قوم نوح باستخدام (في)، وبين ردّه باختيار حرف الباء. ولم يقل: (لستُ في ضلالٍ وليس فيَّ ضلالٌ) ليطابق قولُه مقولهم. ومرَّده هو، أنّ استعمالهم (في) الدالة على الظرفية، يعنون أن الضلال أصبح وعاءً وظرفاً له منغمساً فيه، لذا ناسب مجيء جوابه المنفي بالباء ـ الدالة على الإلصاق ـ ترجيحاً على (في)، إمعاناً في نفي اقترابه من الضلال ولصوق أدني ضلالة به، فضلاً عن انغماسه أصلاً. وهذا يوَكِّدهُ مجيء اسم المرّة (ضلالةٌ). كأنّه قال ليس به شيءٌ من الضلال. كما لو قيل: أَلَكَ تمر؟ فقلت: ما لي تمرةٌ. وهذا الترجيح والاختيار جاء أيضاً في القرآن الكريم في سياق خطاب قوم هود لنبيهم، في نفي أي داع يدعو إليه الشك منهم: (قال الملأ الذين كفروا مِنْ قومه إنّا لنراك في سفاهةٍ وانّا لنظُنّك مِنَ الكاذبينَ)(الأعراف/٦٦) فجاء ردّه عليهم: (وقال يا قوم ليس بي سفاهةٌ)(الأعراف/٢٧).

Archive of SID

www.SID.ir

٢)اختيار (على) على (مِن).

مثال ذلك قوله تعالى:(ويلٌ للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوا أو وَزَنوهُم يخسرون).(المطففين/ ٣ - ١) معنى الآية الكريمة: إذا اخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلاً يأخذونه وفياً وافراً، و(اذا كالوهم) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ينقصون.(الآلوسي: ١٩٨٨: ج٣٠، ٨٧و٨٨).ذهبَ كثيرٌ من المفسرين وعلماء العربية الى أن (على) بمعنى (مِنْ) في قوله تعالى: (الذين اكتالُوا على الناس يستوفون). أي اكتالوا من الناس لأنفسهم.

و قيل: ضُمّنُ الفعل (اكتالوا) معنى استولوا وتسلطوا، لذا عُدِّي بـ (على).والظاهرُ أن (على) هنا على بابها لإفادة معنى الاستعلاء والاستيلاء والتسلط. وبسببٍ إفادة (على)، هذا المعنى وضع الزمخشري يده على السرّ في إيثارها على (من) فقال: لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرُّهم ويُتحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان (من) دلالة على ذلك.(الزمخشري،الكشاف، ١٩٧٧م: ج٤، ٧١٩) والقول بأن (على) بمعني(من) لايفيد المعني الذي يفيده القول بأنّ (على) على بابها في إفادة معني الجور والظلم.

ترجيح (في) على (على).

مثال ذلك قوله تعالى: (ولأصَلِّبنكم في جذوع النَّخل)(طه/٧١).ذهبَ الكوفيون ومَنْ تابعهم إلى أنَّ (في) هنا بمعني (على)، أي: لأصلِّبنكم على جذوع النّخل. لأنَّ الصلبُ يكون على جذوع النخل وليس فيها(ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٨٧م: ج١، ١٦٩).

واستشهدوا على ذلك بقول عنتره:

بطلٍ كأنَّ ثيابه في سرحةٍ يُحذى نعال السبت ليس بتوأمِ

(المصدر نفسه: ج١، ١٦٩)

أي: على سرحةٍ.

Archive of SID

www.SID.ir

و ذهبُ ابن يعيش على تضمين الصلب معني الاستقرار والتّمكن: فذكر أنَّ (في) ليست بمعني (على) ولما كان الصلبُ بمعني الاستقرار والتّمكن عُدِّي بـ (في) كما يُعدي الاستقرار (شرح المفصل، ج٨، ص٢١).والتحقيقُ أنّ (في) هنا ليس بمعني (على)، وليس الكلام من باب التضمين ايضاً. وإنّما هي على بابها في إفادة الظرفية؛ لأنّها تفيد الظرفية حقيقة أو مجازاً، وكذا قرّر النحاة.(ابن جني، د.ت: ج٢، ٣١٣) ووجه ذلك أنَّه شبّه تمكن المصلوب في الجذوع بتمكن الشيء في وعائه، ودلّت (في) على إبقائهم على جذوع النخل زماناً طويلاً، وتشبيه استمرارهم على الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور على سبيل المجاز.(السامرائي، ١٩٩١م: ج٣،٧)

والخلاصه: أنّ هذا البحث لم يأخُذْ بمذهب الكوفيين القائلين بتناوب حروف الجر فيما بينها، كما أنّه لم يأخُذْ بمذهب البصريين القائلين بتضمين الفعل معني فعل آخر ليتسني تصديقه بالحرف الموجود، إذ إنّ الترخّص في الأخذ بمذهب الكوفيين إنما هو عدولٌ عن المعاني الظاهرة المقصود إلى معانٍ مضمرة غير مقصودة، وذلك سيؤدي الى ضرب من العُجْمة وعدم البيان، وإلى فوضى في التعبير لا حَدَّ لها. وإنّ الأخذ بمذهب البصريين محمولٌ على الحيرة والاضطراب، كما قال بذلك بعض القدماء والمحدثين؛ لذا فإنّ هذا البحث يرى أنّ لكل حرفٍ معناه الذي وضع له في اللغة حقيقة، يؤديه من خلال تركبه مع الفعل، كما يرى ذلك كثير من الباحثين؛ اذ إنَّ الفعل المعدّي بالحروف المتعددة، لابدَّ أنْ يكونَ له مع كل حرف معني زائد على معني الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق: نحو: رغبتُ عنه ورغبتُ فيه، وعدلتُ إليه وعدلتُ عنه، وملتُ إليه وملتُ عنه، وإنْ تفاوت معني الأدوات عَسِرَ الفرق، نحو قصدتُ إليه وقصدتُ له وهديته الى كذا وهديته لكذا. (ابن القيم، ١٩٧٧م: ج٢، ص٢١).

Archive of SID

www.SID.ir

النتيجة

يمكننا أن نجمل نتائج البحث بما يأتي:

١) القرآن الكريم هو الأصل الذي ينبغي أن تقعّد عليه اللغة، وبه تضبط قواعد النحو، فإذا ثبتت القراءة القرآنية لزم قبولها والمصير إليها ولا تردّ بقياس(قواعد علم النحو) ولا فشو لغة.

٢) النحو ليس محض أشكال ومظاهر وعلامات لفظية يعرف بها معني الكلام في أبسط صورة وأقرب هيئة وأدنى منال، بل فوق تلك العلامات وقواعدها، هو مناط إيضاح المعنى أي طريقة في أداء المعني واضحاً مؤثراً مفيداً الفائدة التي يحسن السكوت عليها، الفائدة بكل ما يقصد إليه في التعبير من إفادة وإثارة وإمتاع.

٣) النحو للبلاغة كالأساس للبناء فموضوع النحو والبلاغة مشترک؛ وهو«النظم»،أي: تركيب الكلام وتأليفه؛ لكن تختلف جهة النظر في كل منهما؛ فينظر النحو من جهة الصحة والاستقامة على وفق القوانين العربية بغض النظر عن المقام والحال ومقتضاهما. أما البلاغه فترى النظم متعلقاً بالحال والمقام. فمن يفصل بين البلاغة والنحو فهو فصل تعسفي باطل.

٤) ظاهرة الاتساع في دلالة الألفاظ والتراكيب من الظواهر التي عنى بها القرآن الكريم أيما عناية، فنجده يوجز في التعبير ويوسع في المعني.

٥) إنَّ اللغة لها نظام يحكمها ويصرُّ على اطراده، لكن إن خرجت الجملة العربية عن نظامها المألوف فلكل صيغة وتعبير دلالة خاصة بها، لأنّ اختلاف المباني دليل على اختلاف المعاني.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

ابن جني، الخصائص، ط٢، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدي، بيروت، (د.ت).

ابن السراج، ابوبكر محمد بن السري بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق:د.عبدالحسين الفتلى، دار المعارف بمصر، ١٩٨١م.

ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق و شرح: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة بعثت، الطبعة الثالثة، قم، ٨هـ.ش، ١٤٢هـ.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دارالفكر، بيروت،١٩٧٧.

ابن هشام الأنصاري، عبدالله، أوضح المسالك الى الفيه ابن مالك، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة، ١٣٧٥هـ،١٩٥٦م.

ابن هشام الأنصاري، عبدالله، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٧م.

البيضاوي، عبدالله ابن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الأحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

ثعلب، ابو العباس أحمد بن يحيى، شرح شعر زهير ابن أبي سلمى، الطبعة الاولي،دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٤٠٣هـ.

الجرجاني، السيد الشريف، حاشيه السيد الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٨م.

الجواري، أحمد عبدالستار، نحوالقرآن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.

الجواري، أحمد عبدالستار، نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.

حسين، أحمد عويص، الاتجاه البياني في الدراسات البلاغي القرآني الحديث، رسالة الماجستير في جامعة الكوفة

الحمزاوي، محمد رشاد، أعمال المجمع اللغة العربية بالقاهرة،دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٨م.

Archive of SID

www.SID.ir

الخضراوي، ابن هشام، الافصاح، دار الكتب المصرية، قاهرة، ١٣٤٨ق، ١٩٢٩م.

الرمالي، ممدوح، العربية والوظائف النحوية،،دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٩٩٨م.

الزجاجي، ابو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، حروف المعاني، مكتبة مشكاة الاسلامية، د.ت.

الزمخشري، ابوالقاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٣٧ هـ،١٩٧٧م.

الزمخشري، ابوالقاسم محمود بن عمر،المفصّل، تحقيق،دكتراميل بديع يعقوب، الطبعة الاولى،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ق.١٩٩٣م.

زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية، دار الهلال، قاهره، ١٨٨٦م.

السامرائي، ابراهيم، من وحي القرآن، ط١، اللجنة الوطنية للإحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ١٩٨١م.

السامرايي، فاضل، معاني النحو، دارالحكمة للطباعة، الموصل، العراق، ١٩٩١م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٧٥هـ.ق.

السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق وتعليق دكتر أحمد قاسم، نشر أدب الحوزة.

شكيب ، محمود ، چكامه هاى بلند جاهلي، انتشارات پايا، تهران، ١٣٧٨ ش.

الشوكاني، محمد ابن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد ابراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٦٨م.

الصبان، محمد بن علي،حاشية الصبان على شرح الاشموني، مطبعة زاهدي، قم، ١٤١٢هـ.ق، ١٣٧١هـ.ش.

طويلة، عبدالوهاب عبدالسلام، أثر اللغة في الاختلاف المجتهدين، دار السلام، مصر، القاهرة، الاسكندرية، ١٤٣١هـ.ق، ٢٠١٠م.

الفاسى الفهري، عبدالقادر،اللسانيات واللغة العربية، ط١، بيروت، دار توبقال، ١٩٧٥م

القرطبي، ابن مضاء، الردُّ على النحاة، ط٢، دارالمعارف، مصر، ١٩٨٢م.

الكوفي، ابوالبقاء، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: د.عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٧٦م.

المخزومي، مهدي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، دارالرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

Archive of SID

www.SID.ir

مدرس أفغاني، محمد علي، جامع المقدمات، مؤسسة انتشارات هجرت، قم، ١٤٠٩ هـ.ق.

مصطفى، ابراهيم، إحياءالنحو، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م.

الهاشمي، سيد احمد،جواهر البلاغة، دار الفكر، قم، ١٣٨٨.

ياقوت، محمود سليمان، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الاسلامية، كويت، ١٩٩٦م.

المقالات:

طهماسبي، عدنان: درآمدي برعامل ومعمول در زبان عربي وبررسي نظريه ابن مضاء قرطبي، مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني، شماره، سال ١٣٧٣.

المواقع الالكترونية

الوليدي، منصور صالح محمد علي، الاختلاف النحوي في المنصوبات(رسالة جامعية)، المركز الوطني للمعلومات، اليمن، ٢٠٠٥م.

http://www.yemen-nic.info/contents/studies/detail.php?ID=12615

Archive of SID

www.SID.ir